

# من محاضرات الشهر

## النسيان لازم للحياة العقلية

### لزوم التذكر والحفظ

للككتور مظهر سيد الاستاذ محمد التريهبة بالقاهرة

يخطئ الناس كثيراً في فهم حقيقة النسيان ووظيفته الطبيعية كعملية عادية عقلية لا تختلف في شيء عن التذكر والتصور والتخيل وسائر ما يقوم به العقل، إذ يحسبونه نقصاً في العقل ينجم عن انقياص بصره على الوجه الأكل أو ضعفاً طبيعياً يجب أن يبنى المرء بمحيطه. بل يذهب الوهم ببعض الناس إلى أنه مرض مزمن فيقول الواحد منهم إذا استصى عليه تذكر اسم صديق له أو كلمة كانت على طرف لسانه في اللحظة السابقة أو حادث هام حدث في الماضي، « أنه مصاب بداء النسيان »

يرجع هذا الاعتقاد الفاسد إلى أسباب كثيرة أهمها اعتبار علماء النفس أنفسهم من عهد افلاطون إلى عهد قرسبجداً أن الذاكرة « ملكة » أو قوة طبيعية موروثية يهبها الله لبعض الناس فيستطيعون تذكر كل شيء كاشفة أحواله ما كانت. وأن العقل كآلة التصوير الشمسي يسجل كلما يقع عليه من المؤثرات سواء في ذلك الهمام والتأفة وتبقى آثارها فيه إلى ما شاء الله تأنك هما العقيدتان الثائمتان بين العامة. أما وقد أثبتت تجارب علم النفس الحديثة بطلان مذهب الملكات فلم تعد هناك قوة طامة تسمى « ذاكرة » وإنما قوى خاصة، أو ذاكرات لا عدد لها، كل منها يتناول نوعاً خاصاً من المؤثرات تعمل في حدود قوتها مستقلة كل الاستقلال عن باقي الأنواع بحيث يصح أن يكون الفرد سريع الحفظ للاسماء ضعيفاً في تذكر الوجوه أو التواريخ

فقد ينسى الانسان بسرعة بعض المؤثرات من الأنواع التي يكون استعداده الطبيعي فيها ضعيفاً. ونحن كذلك لان لم بفكرة تشبيه العقل بآلة تصوير النفس، لان استعداد العقل محدود فلا يستطيع أن يحوي ما يزيد عن سعة أو طاقته والا اصبح حائوتاً بضم آلاف الاصناف الموضوعية في غير ترتيب ولا نظام فيتعذر على صاحبه ان يضع يده على شيء خاص في الوقت الذي يجده له فيه مشترياً

فطبيعي اذن ان يهيء العقل لكل مؤثر جديد مكاناً لائقاً به بين المؤثرات القديمة

ويربطه بالبعث ويفصله عن البعض الآخر ثم يرتبها وينظمها حسب ما لها من الشأن بحيث يكون الهام منها الذي لا يستغنى عن تذكره الانسان لكثرة حاجته اليه دائماً في التقدم وفي تناول يد العقل ، اما التافه منها او القليل الشأن والذي لا تكون في حاجة اليه في الوقت الحاضر او لن نكون في حاجة ماسة الي تذكره في المستقبل كالوجوه التي يمر بنا عفوآ اتناه السير في الطريق او البضائع المروضة في الحيوانات في المؤخرة فيلتي بها في حضيض النسيان ليفتح المجال للمؤثرات الاخرى التي تكون اكثر منها شأنآ

فكما ان العقل لا يستقبل للمؤثرات من الخارج عن طريق الحواس ويثبت آثارها ويربطها بسواها عن طريق الحفظ والتداعي والتكرار — وهي العمليات الثلاث للحفظ — هو كذلك يرتبها ويرتغها ويستبقى منها الهام ويحذف منها التافه حتى لا يتكدس بالمعلومات فيزيد عن طاقته الطبيعية ، وهذه العملية هي ( النسيان )

فبئس النسيان اذن بالبعث الذي يسطو على خزائن العقل في غفلة من الشعور فيسلبه اعز ما لديه من تحف وذخائر . وهذا يذكرنا بالقول الاميركي « ليس العقل بالشاب الطائش الذي يبدد يساره عن طريق النسيان ما يحجمه يمينه عن طريق التذكر »  
فالنسيان اذن عملية عقلية طبيعية ايجابية لازمة للحياة العقلية لزوم التذكر والحفظ ، بل ينال بعض علماء النفس ويقول انها الزم من الحفظ

على ان الانسان يستطيع ان يثبت ما يحفظه فيقل نسيانه اذا لم يتسد على التكرار الآلى والذاكر الصماء قدر اعتماده على الذاكر وربط ما يشوهه بأمور اخرى بينها وبين هذا الشيء شبه صلة بحيث يتكون منها شبكة مترامية الاطراف كلما خطرت واحدة منها في الذهن جرت الشبكة وراثها بكامل اجزائها الى مستوى الشعور فيسهل تذكره كله ؟ ويؤثر توزيع التكرار على دفعات متعددة تتخللها فترات من الراحة قد تكون اياماً كاملة بدلاً من الجلوس الى الشيء وتكراره مئات المرات لمحاولة حفظه دفعة واحدة ، فيحل في العقل التعب وتتملكه السآمة قبل ان يستظهره تماماً وحتى اذا استظهره ذلك اليوم نسي في الند ، كذلك يجب ان يركز فيه انتباهه ويحصر فيه ميله ورجته وان يخلق في نفسه الرغبة اذا اجر على تعلمه

هذه كلها وغيرها وسائل لتنظيم الحفظ وتخفيف النسيان في المستوى المادي . وهناك حالات كثيرة من النسيان مختلف عن هذه تمام الاختلاف لانا نسي فيها اموراً هامة قد ترتب عليها مصالح حيوية يهنا ان لانفقدتها بسبب النسيان كأن ينسى الانسان موعداً ضربه لانجاز عمل او قضاء مصلحة او يضع شيئاً ثميناً حينها كان وهو واثق من انه لن يفقده فاذا افتقده عند الحاجة اليه نسي المكان الذي وضعه فيه او يكتب خطأً بموضوع هام

ويلقيه في جيب سترته مدة طويلة حتى ينساه ، أو يلقيه في صندوق البريد وينسى أن يلصق عليه الطابع ، أو ينحضر اوراقاً هامة يريد ان يستخدمها في الغد ثم يستبدل سترته وينسى انه وضعها في السرة الاولى

هذه كل ظواهر مألوفة ولو انها غريبة في بنها يرجع النسيان فيها الى عامل تقاسي هام هو التنازع بين رغبة خفية في النفس بمنع العرف والذوق ومقتضيات المجاملة والشك ان يظهرها ، بينما تدفعه هذه العوامل ذاتها الى تذكرها واظهارها ولو على مضض منه ، ولا يد ان تغلب الرغبة الكامنة في كل حال؟ نحن نفقد شيئاً ثميناً اهداء صديق الينا ونسى ابن وضناه اذا لم تكن علاقتنا بهذا الصديق حسنة ، ونسى الموعد ان كنا لا نميل الى من ضربه او لشك في نتيجة المقابلة ونسى الخطاب اذا كنا نكره ان نشر في مراسلة الشخص المرسل اليه

وعريب اتنا في كل الاحيان نذكر ما هو في مصابحتنا، ونسى ما كان في مصلحة الغير هذا النوع من النسيان تقتضيه الطبيعة للتفيس عن النفس ، ولاشباع الرغبات الكامنة بسض الشبح، فهو في الواقع في مصلحة الفرد ولا داعي للخوف منه او محالته ولكن هناك نوع آخر من النسيان هو من الخطورة بمكان ومن الواجب المبادرة لمعالجه لانه اذا ازمن كان سبباً في خلق اضطرابات عصبية وظيفية تدرج من مجرد الخوف من الظلام او الامكنة المغلقة او المرتفعات الى التشنجات العصبية والصرع ، ثم الجنون المسحي

تبنت طريقة التحليل النفساني الحديثة ان كل هذه الحالات سببها الاساسي حادثة مؤلمة او موقف خطير حدث للشخص من عهد بعيد ، واثارت في نفسه اضمالات فظيمة اهمها الخوف واثرت في جهازه العصبي وقت حدوثها بسض التأثير فاذا استمر الشخص يذكرها كما حدثت خف تأثيرها وبطل عل عمر الايام ، اما اذا نسي بعد حدوثها بزمن قصير من تلفاء نفسه او ارغم نفسه حل نسيانها ارغاماً خيل اليه انها انقطعت من سلسلة حياته، وامتنعت عن تقيمه وتكريره في حين انها تلتفت الى صميم عقده الباطن وارتبطت هناك مع ذكريات قديمة او حوادث اخرى مؤلمة ، وتكون منها عقدة عقلية كالقنبلة محمول ان تفجر كلما اتحت لها الفرصة لولا ان العقل الواعي يكتبها وهي بدورها تنهر الفرصة السانحة فنظير في احلام التوم : او احلام البقعة (المرحان) ، وتدرج في القوة وتجرؤ على الظهور حتى تسب اخيراً نوعاً خاصاً من الاضطرابات العصبية . وانقطع هذه الحالات حوادث الطفولة بين الرابعة والسادسة خصوصاً اذا كان اساسها الخوف [ تخيص : سميرى فريد ]